

الملاحم الكبرى فى التفكر الفلسفى عند ميشال فوكو

The French reception of Edmund huserl's Phenomenology

مختبر: الأبعاد البنيات النماذج والممارسات كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر.	الفلسفة	ضرباني أمينة* aminadorbani1988@gmail.com
مختبر: الأبعاد البنيات النماذج والممارسات كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر	الفلسفة	أ.د. دراس شهرزاد derras.oran2@gmail.com
DOI:10.46315/1714-010-003-008		

الإرسال: 2020/06/13 القبول: 2020/10/18 النشر: 2021/06/16

ملخص:

تشكل الملاحم الكبرى لفضاء فوكو الفكرى من خلال فلاسفة الارتباب الثلاث (نيتشه، ماركس فرويد)، ومدى تأثيرها على فلسفته التقويضية، كذلك دراساته وتحليلاته الإستمولوجية من خلال تأثره بفلسفة النفى الباشارية، ولا نسى انتمائه للبنىوية فى بداية مساره الفكرى ولا فضل فلسفة كانط عليه الذى أيقظه من سباته الأثروروبولوجى كذلك مدرسة الحوليات وعلاقته الوطيدة بها.

إن السؤال الفلسفى الفوكوى هو سؤال حاضر، سؤال الراهنية والواقع المعاش تساعدنا تحليلاته على فهم الحاضر واستشراف المستقبل من خلال تفكر الذات وعلاقتها بالمعرفة والسلطة والأخلاق من خلال تجاوز الفكر التقليدى، الميتافيزيقى وإعادة ترتيب مقولاته ومسلّماته.

الكلمات المفتاحية: الأستمولوجيا، الأركيولوجيا، الجينولوجيا، الانفصالات المعرفية، الفلسفة الارتبابية.

Abstract

The major features of Foucault's intellectual space are shaped by the three philosophers of distrust (Nietzsche, Marx, Freud), and the extent of their influence on his catabolistic philosophy, as well as his study and epistemological analyzes through his influence of the Bachelard philosophy of negation, and we do not forget his affiliation with the structuralism at the beginning of his intellectual course, nor for virtue Kant's philosophy is upon him, who has been spoiled by anthropology in hibernation, as well as the Year School and its close relationship with it. That the philosophical question Foucault is a present question, the question of the current and the lived reality, his analyzes help us to understand the present and to foresee the future through self-reflection and its relationship to knowledge, power and ethics by transcending traditional thought, metaphysics and rearranging his sayings and conclusions.

Key words: Epistemology. Archeology. Genealogy. Cognitive separations, skeptical philosophy..

مقدمة:

صرّح فوكو فى كتابه حفريات المعرفة الصفحة 18 ".... فلا تطلب منى من أنا ولا تأمرونى بأن أظل أنا هو باستمرار". ومما لا شك فيه أن الباحث فى حيثيات الفكر الفوكوى، نجده ممتدا لفلسفات سابقة، رغم اقتحامه للمجالات الجديدة. وطرحه لموضوعات مميزة طالما همشت وقبرت.

* - الباحث المرسل: aminadorbani1988@gmail.com

وما يخص بحثنا المتواضع هو الأصول المرجعية للفكر الفوكوي، فقد حاولنا أن نلمس بعض ملامحه الفكرية من خلال طرح الإشكالي: يعد فوكو عند البعض من المفكرين، متطرفا هذا لدفاعه عن الأقليات من المجتمع إلا أن هذا الأمر جعله الأكثر حضورا ومتابعة، خلف الفيلسوف مقارنة كونية لعدة مواضيع جديدة كالجنس والجنون وعلم النفس الإكلينيكي.

يبدو فوكو ماركسي، بنيوي حسب بعض القراءات، مقابل البعض الآخر الذي يرى فيه أنه بنيوي بلا بنيات، فوكو كغيره من المفكرين البارسيين الذين تجذبهم المواضيع المعقدة والمختلفة والمتغيرة، مع فوكو لا يمكننا أن نكون في حقل واحد. نجده في أبستمولوجيا العلوم الإنسانية تارة، وتارة أخرى مع الدراسات الفيلولوجية والجينولوجية، ثم مع سوسولوجيا العقاب، إنها ربما مصادر تمثل أو لا تمثل طبقات متنوعة عند الفيلسوف فوكو أو انه عضو دائما فيها. فيما تتمثل الملامح الكبرى التي تعد تأصيلا مرجعيا للمفكر ميشال فوكو؟ وما مدى تأثير تلك الدراسات السابقة على الأفق الجديد الذي اقتحمه؟

أهداف الدراسة: أولا: التعرف على الفكر الفلسفي عند ميشال فوكو، ثانيا: تقديم أهم الملامح والمحطات التي ساهمت في فكره ومدى تأثيرها على مساره الفلسفي .
أهمية الدراسة: في الحقيقة ما من مفكر أو فيلسوف أو باحث يمكن له أن يتفرد ببحثه أو نظريته دون أن يكون له محطات تساهم وتؤثر في طريقة تفكيره وأسلوبه الى حد أن يكون هذا التأثير حلقة من حلقات مساره الفكري، هذا ما وددنا تقديمه في هذا العمل.

منهج الدراسة: اعتمدنا في هيكله هذا العمل على المنهج التحليلي من خلال تحليل الافكار وتبسيطها بذكر أهم ملامح الفكر الفوكوي لما تحمله من تنوع واختلاف.

الدراسات السابقة: مما لا شك فيه أن أي باحث يعتمد في عمله على الاقتباس من أعمال وبحوث تشابه موضوعه، نذكر من أهم الدراسات السابقة: مذكرة: ز. رايس، (2004-2005)، الفضاء الإبيستمولوجي للعلوم الإنسانية لدى فوكو: السلطة المقاومة والحقيقة، إشراف: أ.د. مولفي محمد، مشرف مساعد: ابن عمار سواريت، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية.

الأصول المرجعية للفكر الفوكوي

فوكو ومدرسة الحوليات:

أعجب فوكو بكل ما هو ثوري، مغاير، مختلف وجديد هذا ما يوضح لنا ارتباطه الشديد وإعجابه "بمدرسة الحوليات"، التي بدورها كانت تحتضن بمناهج الكتابة التاريخية الحديثة "ظهرت سنة 1929، بتأسيس المجلة التاريخية، الاقتصادية، الاجتماعية التي قام بتأسيسها أستاذان شابان هما لوسيان فيفر ومارك بلوك، حيث قرّر الرجلان أن ينفخا في دراسة التاريخ روحا قوميا جديدا، بحيث ستأخذ الكتابة التاريخية أبعاد جديدة، سوسولوجية ولسانية

وجغرافية وديمغرافية وتحول التاريخ إلى دراسة كل ما له علاقة بالإنسان (العروي، ع، ب، د، ت، ص187).

ارتبط اسم فوكو بالرؤى الثورية التقدمية، لغته التغيير، فلسفته القطائعية الانفصالية، جعلته شديد الإعجاب بهذا نوع من المدارس، وهذا ما نجده متجليا في كتابه "حفريات المعرفة": "...حيث يعتمد فوكو بوضوح "التحليل التسلسلي الذي يتأسس على مفهوم الانفصالية وضبط القطائع والشروح الدالة والتمييز بين الطبقات الزمنية التي تناسب مستويات مختلفة من الواقع" (ولد أباه . س، 1994، 76-77).

طمحت مدرسة الحوليات إلى الانفتاح على كل حقول المعرفة، مع إبقاء كل علم على خصوصياته. هنا ما ساعد فوكو بالإلمام بالمعارف السابقة وتحديد آلياتها للوصول إلى الحقيقة، حيث يصفه المؤرخ بول فاين، الحدث الفكري الأكثر أهمية مع قرننا، فهو يرفض قراءة فوكو بنيويا، "إن الحدث الأساسي لفوكو ليس الخطاب ولا البنية ولا القطيعة بل الندرة la rareté بالمعنى اللاتيني: أي أن الوقائع الإنسانية، نادرة لا تظهر، داخل اكتمال العقل، بل يحيط بها فراغ، وترتبط بوقائع أخرى قد لا يخمننا تفكيرنا فما هو كائن قد لا يقع، فالوقائع الإنسانية اعتباطيه حسب عبارة ماركال موسى إنها ليست بديهية ولا شفافة وإن بدت كذلك". (ولد أباه، س، 1994، 78).

ارتبط مفهوم التاريخ التقليدي، بالسرد والتركيز على الشخصيات البطولية والملوك والعظماء، أما مع مدرسة الحوليات اتجه الاهتمام إلى الطبقة العاملة، الكادحة المهمشة، بالتالي وجد فوكو مناخه مع هذه المدرسة، كذلك انشغالها بالوثيقة والكشوفات الأثرية، من هنا أراد فوكو تجسيد هذا المنهاج الجديد على أرض الواقع من خلال تقريرته للعلوم الإنسانية، "يرى بول فاين أن فوكو هو الفيلسوف الذي أحدث شرخا في التصورات للتاريخ ولعلوم الإنسان بتغييره وإضفاء سمات جديدة للفكر ولأطر المجتمع وتاريخه". (رايس، ز، 2005، 111).

إلا أن فوكو تعرض إلى عده انتقادات فقد أثار جدلا واسعا في صفوف المؤرخين وقد هاجمه ليونار في مقاله اللاذع اتهمه فيها بجهد كثير من التفصيلات والوقائع المعروفة لدى المؤرخين كالإصلاحات القضائية في عهد الثورة والإمبراطورية. واتهمه كذلك بالميل إلى القفزات الكبرى وتجاوز دقائق الأمور" حتى أنه "كان البعض يعيب على منهجه من نقائص كونه اهتم بما هو ظاهري وتناسى الجزئيات، لكن نقول فوكو لم يتناسى عمدا هذه الجزئيات بل غفل عنها ونساها". (ولد أباه، س، 1994، 77).

تتضح علاقة فوكو بمدرسة الحوليات في مقدمه كتابه "حفريات المعرفة" حيث اعتمد هذا الفيلسوف على مفهوم الانفصالية والقطائعية، خصّص المؤرخ الفرنسي بول فاين دراساته

للمنهج الجديد الفوكوي، هو بمثابة الحدث الفكري، إنه صاحب ثورة كبرى. إنها أعمال تقسم بـ "الندرة" La rareté، بمعنى أن الوقائع الإنسانية نادرة، حيث أن الظاهرة الإنسانية يحيط بها الفراغ تكون خارج تفكيرنا في وقائع اعتباطية.

إن تاريخية فوكو بمثابة فلسفة جديدة للممارسة إكتشف من خلالها مستوى جديد، هي ممارسه البشر كما هي مصورة في الواقع حيث أن كل ممارسة تولد موضوعا مناسباً لها إن تشكيك فوكو في المواضيع الطبيعية ليس لإنكار وجود تلك المواضيع بل انه يذكرنا بأنه ليست هناك حقائق ثابتة وأزليه.

فوكو والفلسفة الارتبابية :

ماركس وثنائية الكثرة:

افتتن ميشال فوكو بدراسة "ماركس"، هذا راجع لتأثره بأستاذه ألتوسير، أخذ فوكو يقرأ أعمال ماركس تحت تأثير ألتوسير إلى درجة انخراطه في الحزب الشيوعي عام 1950، ثم تعلق بهوسرل وهيدغر "إن إنسان فوكو هو إنسان ماركس، من خلال ميلاده الحديث الذي لا يقل عن مائتي سنة، لأنه بدأ من التفكير الماركسي، ظهرت الآفاق الجديدة لعلوم الإنسان، من خلال تفويض الرواسب التي خلفها الدين والميتافيزيقا والفلسفة الكلاسيكية.

اعتبر فوكو كل من ماركس، نيتشه، فرويد، رواد أعادوا التقنيات التأويل الجديد في القرن العشرين، ذلك الشرح الذي حدث في تاريخ الفكر، هو بمثابة طفرة إبستمولوجية، إنها هيرومينوطيقا جديدة كشف لنا فوكو من خلال قراءته للرأسمال عن ماركس النشوي، من خلال ضربات المطرقة، بعدما كان التأويل مجرد توضيح، صار صراعا، يقول فوكو: "نرى ذلك عند ماركس الذي لا يؤول تاريخ علاقات الإنتاج ولكنه يؤول علاقة تقدم نفسها سلفا كتأويل، بما أنها تقدم نفسها كطبيعة". (Foucault, m, 1994 : 46).

يحاول فوكو من خلال مشروعه الطموح، أن يلم بابستميات كل من عصر النهضة والحديث، إلى يومنا هذا، كل حقبة منفصلة عن غيرها فتاريخ الأفكار عنده قائم على القطيعة تبين تلك الإبيستميات انطلاقاً من إشكالية اللغة والحياة والعمل في الممارسات الخطابية ما تخصصه نحن هنا هو الجانب الاقتصادي، حيث يعتبر ماركس متمم لأعمال ريكاردو من خلال "مقولة العمل"، قبل ذلك آدم سميث حيث شهد المجال الاقتصادي منعرجاً جديداً يقول فوكو "...وابتداء من آدم سميث لم يعد زمان الاقتصاد زماناً دورياً، زمن الاقتصاد والاعتناء، لم يبق كذلك نمواً خطياً لسياسات ذكية، يرفعها من عدد النقود الرائجة تزيد في عجلة الإنتاج بصورة أنجع، مما لو رفعت الأسعار، بل سيغدو الزمن الداخلي لتنظيم ينمو تبعاً لضرورته الخاصة ويتطور تبعاً لقوانين ذاتية نوعيه وهو زمن من الرأسمال ونظام الإنتاج" (فوكو، م، 1990، 196).

إن كل من مقولات "الحياة واللغة والعمل" بمثابة شروط لتشكل المعارف وضعها فوكو كأنها على النحو الكانطي "شروط ترنستندتالية" هي مقولات موحدة للظواهر كنظام واحد. تسمح مقولة "العمل" عند ريكاردو لفوكو، بربط حبل الوصل مع ماركس إلا أن هناك اختلاف بينهما في "تشاؤمية ريكاردو ووعد ماركس الثوري". (فوكو، م، 1990، 223). أصبح الاقتصاد علما قائما بمفهوم "الندرة والعمل" يوجه فوكو نقده للماركسية، حيث أنها نظرية صالحه لعصرها فقط يقول: "...لم تحدث الماركسية على المستوى العميق للمعرفة الغربية أي شق فعلي، بل استقرت بسهولة، كصورة كاملة، هادئة ومريحة وبالواقع، مرضية لعصرها (هو عصرها)... الماركسية في فكر القرن التاسع عشر كما السمكة في الماء: أي أنها تتوقف عن التنفس في أي موضع آخر (فوكو، م، 1990، 224).

تحدث فوكو في النص السابق عن إبستمولوجية جديدة مع ماركس هذا الأخير الذي سوف يسمح بزوغ "المادية الجدلية"، الذي وعد ألتوسير بإتمامه، أحدث ماركس من خلال القراءة الفوكوية أثرا مضاعفا في الخطاب، هو مؤسس الممارسة الخطابية البرهانية وبعد تجيل السيتانسية للعامل الاقتصادي سيأتي ألتوسير ليجرب حظه بنقد النزعة الانسانية. يستشهد فوكو من خلال كتابه المراقبة والعقاب من تحليلاته للعلوم الإنسانية خاصة في مقولتي: السلطة والمعرفة ليحدد من خلالها ثنائية الكثرة. والرأسمال يقول: "إن التقنيات التي تجعل الكثرة التراكمية من الناس مفيدة، فإنها تسرع حركة تراكم رأسمال وعند المستوى الأقل عمومية، غدت التحولات التكنولوجية في الجهاز الإنتاجي وتقسيم العمل وإعداد وسائل إنضباطه، مجعلا من العلاقات المتلاحمة جدا. (فوكو، م، 1990، 226).

يعد الرأسمال بالنسبة إلى فوكو أحد المراجع الفكرية المهمة عنده، حيث استنبط الثروة والإنتاج والعمل وربطه بعلوم الإنسان وجعلها أحد الركائز الثلاث التي تعد بني أو إبستيميات الفكر الغربي. يدعو الفكر الماركسي إلى التحرر من الفكر الديني، الميتافيزيقي، والإستمرارية في التاريخ، ذلك التاريخ القائم على الاتصال والتسلسل يقول فوكو: "إن التاريخ على العكس من ذلك، يمكن أن يفهم وينبغي أن يملك حتى أصغر تفاصيله، لكن تبعا لفهم الصراعات والاستراتيجيات والتكتيكات". (فوكو، م، 2012، 70). كانت الماركسية قبل مظاهرات 1968 عبارة عن تلك السمكة التي تخرج من الماء تلقى حتفها إلا أنه بعد تلك الأحداث أصبحت مركز ومبعث الوعي والثورة والتحرر وكسر التقليد والتبعية، كذلك إيمان فوكو بالقطائع التاريخية، وجد ضالته مع ماركس ونيتشه.

فوكو وجينالوجيا السلطة:

قراءة في الأفق التنشوي:

كان عام 1970 بمثابة الاختصار والاكتمال الفكري للكاتب ذهب فيها إلى تعلم الألمانية، هذا ما أمكنه من الاطلاع على نصوص الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه F. Nietzsche، راجع إلى اهتمام فوكو بقضايا السلطة والقوة والثورة وتقويض الميتافيزيقا هذا المنعرج الفكري بمثابة إنزياح فوكو من الأركيولوجيا إلى الجينالوجيا بالتالي فيما تتمثل الإرتسامات التنشوية في الفوكوي.

يصف نيتشه كتاباته ونصوصه بالقسوة والوعرة كشف عن شفرات ورموز وقضايا طالما ظلت ملتبسة حيث حرض على الرجوع إلى الأصل استهوته الكتابة الشفوية، يقول هنا واصفا كتاباته "من يعرف كيف يتنفس من الهواء الذي يملأ كتاباتي يدرك أنه هواء أعالي، هواء شديد قاس". (نيتشه، ف، ب، د، 8).

يعتبر نيتشه من بين الفلاسفة الأقوى أثرا على الفكر الفوكوي، لأن نيتشه أول من طرح سؤال "من المتكلم"؟ من هذا الإنسان؟ بطرحه هذا أراد أن يقضي على الإنسان البسيط، العادي الذي يرضخ لأوامر القطيع، بل ذهب إلى أعمق من ذلك وأعلن عن موت الإله يقول فوكو هنا: "الخطاب ليس الحياة: زمنه غير زمنكم وفيه لن تتصالحوا مع الموت، قد تكونون قد قتلتم الإله تحت ثقل كل ما قلتم ولكن لا تتصوروا، مع كل ما تقولون، أنكم ستخلقون إنسانا يعيش أطول مما عاش". (ستروك، ج، 1990، 117). إن تأثير نيتشه على فوكو حول تساؤله عن الإنسان كلغة إنسانية لأنها بدورها تحمل كينونته انه بمثابة منقط يقول فوكو هو من أيقظنا من سباتنا الجدلي والأنثروبولوجي وليست مقولات المأساوي وديبونيزوس ومطرقة الفلسفة والإنسان الأعلى والعود الأيدي سوى أصوات جديدة لتحليل تعوض الأنساق الميتافيزيقية الأكثر عراقا أنها المقولات التي ترسم خط فلسفه الاختراق والعرضية الذي شبعه اليوم" فهم الفكر الجديد" أمثال بطاي وبلانشو وكلوسوسكي" يعتبر نيتشه بالنسبة لفوكو محطة بارزه في تاريخ الفلسفة، بمثابة نقطة محورية في التفكير الفلسفي أعاد نيتشه صياغة أمثلة الفلسفة ورهاناتها إلى جانب فرويد وماركس حيث قلب هؤلاء الثلاثة نظام التأويل ذاته. يقول فوكو في حديث اجري له: أنا ببساطة تنشوي أحاول بقدر الإمكان أن أرى بخصوص عدد من النقاط بمساعدة نصوص نيتشه ولكن مع ذلك مع أطروحات مضادة نيتشه (وإن كانت مع ذلك تشويه) ماذا يمكن أن نعمل في هذا المجال أو ذاك لا أبحث عن أي شيء آخر ولكنني ابحث عن هذا الحق (ولد اباه، س، 70، 1994).

كرّس نيتشه جينالوجيته للقطيعة مع التقليد الفلسفي وتقويضه للتراث الميتافيزيقي بمطرقته الهدامة، يقول محمد الأندلسي في كتابه: "أن انتقاد نيتشه للحداثة وقيامه بجينالوجيا

للأفكار الحديثة في تجلياتها الأساسية (الفلسفة، العلم، الأخلاق، السياسة) يهدف إلى الوقوف على عادات وتقاليد في التفكير بالية وعتيقة في جوهرها" (اندلسي، م، 2006، 96).

ينتقل نيتشه من المعرفة الى التاريخ ناقلا معه ارادة القوة كمحرك للإنسان صانع للتاريخ اذ جعل من التاريخ صراع تصادم قوى لأن غاية الانسان هي السمو وهو جانب قد يكون لا شعوري (...). لذا لا تقوم الفلسفة على أساس انطولوجي وانما تتأسس على قواعد سيكولوجية وتهدف الى تبين ارادة القوى لبلوغ الحقيقة (زرودي، د، 2019، 28). كان إيثار فوكو للمنهج الجينيولوجي هدفه البحث عن البدايات والإرتسامات الأولى للمعرفة، من خلال استنطاق ابستمياتها باعتماده على الوثائق المادية والمعنوية، اعتمادا على السطوح الثلاث: البيولوجيا، الاقتصاد، اللغة يظهر هذا مع فقه اللغة بتأثير من نيتشه استعار فوكو منهج التأويل في عمق المعرفة "....من نافل القول، ربما يكون نيتشه في دراساته للعلوم جينولوجيا بالبحث عن كنه المعرفة، هو من الأسباب التي دفعت فوكو إلى استقراء المعرفة والعلوم في عصر معين بالاعتماد على المنهج الأركيولوجي كتاريخ للمعارف والعلوم، ابستميا تمفصليا ومن هذا يمتد المد التنشوي تأثير في فكر فوكو في تأويله وبحثه عن أصل ومبادئ العلوم الإنسانية والحقيقة والنظر إليها بأنها علوم لم تنضج بعد" (رايس، ز، 2005، 99).

إن بزوغ الإنسان الأصلي يستند إلى صوت الإله في نظر نيتشه، كان العدو اللدود للمسيحية ولرجال الكنيسة: "...وتظهر قوة التظليل المسيحي لغرائز الإنسان الأوروبي كونها تدعو إلى قيم بائدة، فهي أعطت لغريزة الشفقة قيمة الفضيلة إنها تعطي للحياة نفسها مرأى كبيرا ونجاحا مشكوك فيه" (بلعقروز، ع، 2010، 105). إن تلك الثقافة الجديدة التي سوف يتبناها فوكو المعارضة للفكر الجدلي والنزعة الإنسانية بدأت مع نيتشه عندما أعلن عن موت الإله الذي بدوره يعني موت الإنسان وأقول عهده جاء فوكو ليقتفي خطوات نيتشه في سبيل تصفية النزعة الإنسانية من شوائبها صوت ذلك الإنسان الواعي المالك هو مخلوق غريب حديث العهد، "إن ما يعلنه فكر نيتشه هو انفجار وتشطي صورة الإنسان... هو الاختفاء النهائي للإنسان" (الداوي، ع، 1992، 168). «حيثما ثمة حياة، ثمة ارادة اقتدار يعني أنها تتعلق في مستوى أول بالحياة في حد ذاتها فهي ماهية الوجود الاكثر عمقا» (ضيف الله، ف، 2019، 132).

فرويد ووهم الحضارة

شهد التحليل النفسي طرفا أساسيا في الفلسفة خاصة منها المعاصرة مع تلك الهزة التي أحدثها سيغموند فرويد "S.Freud" من خلال مشروعه العلمي النفسي قام هذا العالم بخلخلة التصور الأنوارى عن الذات التي طالما تغنت بوعيمها ومعرفتها ومركزيتها، دخلت الفلسفة المعاصرة في حوار واسع وممتد مع التحليل النفسي، مع التصور الجديد هو اللاشعور "inconscient"، حيث

اعتبر مساحة الوعي ضيقة ومظلمة مقارنة مع رقعة اللاشعور، هي الحقيقة عند فرويد، إن مسكن الذات ومأواها هو اللاشعور. دفعت تلك الخصومات والمشاحنات والهجمات التي تلقاها فرويد مع اكتشافه الجديد إلى توسيع دائرة بحثه من خلال دراسته الأشكال الأخرى من الأمراض النفسية العصابية يربطها مع الغريزة الجنسية حيث ربط كل الأمراض والعقد النفسية بمرحلة مهمة في مرحلة الطفولة يقول في كتابه الكبت- التحليل النفسي...إن كل العقد النفسية وبمعنى آخر كل الانحرافات الجنسية التي تظهر في حياة الإنسان مردها الطفولة"(فرويد،س، ب،د،ت، 13).

إشكالنا الآن هو ربط التحليل النفسي الفرويدي مع فلسفة فوكو، يعني هل بالإمكان أن التحليل النفسي عند فرويد له وقع وأثر على اللامفكر فيه عند فوكو؟ هل نجد صدى فرويدي على تلك الفضاءات الفكرية والعلمية التي تأثر بها فوكو؟. يضع فوكو كل من ماركس نيتشه فرويد في إطار واحد ذات أهمية واحدة التي ساهمت في تغيير المنظوري والتصور الإنساني فقد جاءت مختلف العلوم من البيولوجيا والاقتصاد واللغة إلى العلوم الإنسانية للتأكيد على أهمية هذا الأمر الذي يقود إلى نسبة الإنسان وتناهيه وهذا ما قصده فوكو حينما تحدث عن موت الإنسان"(طريبق، أ، 2015، 04).

عرض مشروع "المائدة المستديرة" على ميشال فوكو، حيث قبله وعنون مداخلته تقنيات التأويل عند ماركس نيتشه فرويد يقول فوكو: إذا كان تطور الفكر الغربي خلال القرنين السابع والثامن عشر قد ترك تقنيات التأويل التي عرفها القرن السادس عشر معلقة وإذا كان النقد الذي وجهه بيكون وديكارث للتشابه قد لعب دورا كبيرا في وضع تلك التقنيات بين قوسين فان القرن التاسع عشر وعلى الأخص ماركس نيتشه فرويد قد طرحوا أمامنا إمكانية أخرى للتأويل أنهم أسسوا إمكانية قيام تأويل جديد" (فوكو،م، 2008، 301). عاشت الثقافة الغربية ثلاث تأزمات وجروح نرجسية مع الثورة الكوبرنيكالية والاكتشاف الدارويني والتحليل النفسي الفرويدي حيث تعرضت مركزية الإنسان إلى ثلاث إهانات من خلال سعيهم في تقويض نرجسية الإنسان وقتله. يقول فوكو في كتابه "الكلمات والأشياء": فإذا كان فرويد قريب أكثر من أي سواه معرفة الإنسان من نموذجها اللغوي إلا أنه أول من حاول أيضا أن يلغي جذريا التمييز بين الايجابي والسلبي (السوي والمرضي)(فوكو،م، 2008، 295).

"إن إعجاب فوكو بالتحليل النفسي وطريقته المجدية في معالجة واستعارته لفعل الاعتراف والانكباب على الذات اكسب هذا المشروع الشرعية الطبية بل والسياسة كفعل تقني وسلطة وبهذا يجد فوكو في طب الهستيريا الطب العقلي وملاذ لتحقيق إدارة المحكمة من التقنيات" (رايس، ز، 104، 2005). إن السمة الأخيرة للتأويل أنه هناك تأويلات حسب تعبير نيتشه

أنه لا توجد حقائق إنما هناك تأويلات مالا نهاية لها. حيث يتناول التأويل ذاته من جديد في حالة صيرورة دائمة ومبدأ التأويل لا المدلول كما عهدناه إنما هو الكائن المؤول.

فوكو انطولوجيا الحاضر

كانط:

دافعت الحداثة على النزعة الإنسانية تلك الذات الواعية العاقلة العارفة الأخلاقية المبدعة الفعالة المسؤولة كان عصر الأنوار مشبع بالروح النقدية التي ترفض الوصاية التبعية التحجر خاصة مع الفيلسوف الألماني كانط صاحب المذهب والنزع النقدي يقول في مقدمة الطبعة الثانية من «نقد العقل الخالص»: «إن النقد هو الإعداد الذي لا غنى عنه لتقدم الميتافيزيقا الميتة من حيث هي علم" (وهبة، م، 07، 1974). كان مطلب الفلسفة الكانطية هو نقد المعرفة لأنه لا توجد معرفة أو علم صحيح يفتقر للنسق ذلك النظام الذي يضع مبادئ المعارف والحقائق القبلية. ارتبطت قضية الأنوار عند كانط بالعقل والحرية.

ارتبط سؤال "ما الأنوار" بالفيلسوف كانط يقول فوكو في هذا الصدد: "... لقد اعتبر هذا النص منذ مدة طويلة ولا زال نصا قاصرا mineur نسبيا لكنني لا يمكنني منع نفسي من اعتباره مدهشا وهاما في آن، إذ لأول مرة يقترح فيلسوف كمهمة فلسفية لا تحليل نظام المعرفة العلمية وأسسها الميتافيزيقية فقط بل تحليل حدث تاريخي حدث راهن عندما طرح كانط سؤال ما الأنوار؟ سنة 1784 فإنه أراد القول ما الذي يحدث في هذه اللحظة؟ ما الذي يحدث لنا؟ ما هو هذا العالم وهذه الحقبة وهذه اللحظة التي نعيش فيها؟" (الحسناوي، م، 2003، 38). يعتبر كانط الوجه الأبرز للحداثة الفلسفية بمختلف اشكالها ومبادئها، يبدأ انه اذا كان كانت قد جعل من النقد شعارا أساسيا فقد أبى الفلاسفة اللاحقون عليه إلا أن يكونوا اوفياء له اما بتوسيع مفاهيمه او تجاوزها.(بلكفيف، س، 02، 2015).

كان إعجاب فوكو بالفلسفة الكانطية من خلال طرح مشكلة الفلسفة وعلاقتها بالان يقول فوكو: "موضوع الفلسفة ليس تأمل ابدي ولا تأمل التاريخ بل تشخيص صيرورتنا الآتية"(بلكفيف، س، 20، 2015). كان إلهام فوكو بكانط لدرجة اعتبره أول فيلسوف اقتحم الفلسفة الحديثة ودخل تاريخ الفكر. سؤال ما الأنوار طرح في 1784 وما زال حاضرا إلى الآن حسب رأي فوكو. إن التفكير الفلسفي الكانطي حاضر مع الفلسفة المعاصرة وما استشكالاتها، إنه واحدة القادر على دخوله حقبة فلسفية جديدة لأنه طرح سؤال ما الأنوار الذي سار عليه معظم الفلاسفة إلا أن طريقتة في الطرح مخالفة تماما ليقدم لنا إجابة مميزة يقول فوكو: "...فكانط يعرف الأنوار بطريقة تكاد تكون سلبية تماما يعرفه فوكو «ausgang» «كخروج» «كمنفذ» (...). إن ذلك السؤال ما الأنوار؟ في هذا المقال يهتم بالوضع الراهن الخالص انه لا يسعى إلى فهم الحاضر

انطلاقاً من كلية ما أو اكتمال مستقبلي انه يبحث عن الاختلاف ما هو الشيء المختلف الذي يضيفه الوضع الراهن بالمقارنة ما أتى به الأوس؟" (فوكو، م، 2015، 09). وضع كانط- حسب فوكو- أساسين كبيرين للنقد هما الشروط الممكنة لإقامة معرفة حقه إما الأساس الثاني طرحه حول الحالة الراهنة الأنبية وهنا كان الهام فوكو وإعجابه بكانط وفلسفته النقدية.

القطائع الاستيمولوجية في الأفق الفوكوي

باشلار وكونغليام:

يرتكز الإرث البشاري على فكرتين أساسيتين هما "مفهوم القطيعة الإستيمولوجية الذي يخترق كل المناهج البنيوية وتصور بنائي onstructivisme للعلم: تتعلق به مقولات الإشكالية problématique وشبه انهيار المعقولة حيث تترك مكانها تصورا مجردا لمفهوم الممارسة العلمية (ولد أباه، س، 1994، 74). إننا إذا اقتفينا أثار وأعمال باشلار ضرورة وإلزاما نذكر الفيلسوف كونغليام الذي بدوره يتزعم فلسفة القطيعة الإستيمولوجية لا استمرارية وتسلسل تاريخ العلوم والاكتشافات هو كذلك أراد أن يخلص الإستيمولوجية من الوهم الديكارتي وأسطورة اليقين في العلوم من خلال تقويض كل عمل ميتافيزيقي دوغمائي، لأنه مسؤول على وضع ذلك السقف الحديدي المتحجر. "إن فوكو يقر بجلاء في نصوص عديدة بهذه الصلة الوثيقة وبالأخص بإشكالية تاريخ العلوم كما رسمها جورج كونغليام وقد اعترف بهذا الدين في قوله: إليه يعود الفضل (أي كانجلام) في فهمي، لأن تاريخ العلوم ليس خاضعا لضرورة الاختيار بين بديلين التدوين التاريخي المتسلسل للمكتشفات والإشكال والآراء التي تحيط بالعلم من حيث منشؤه غير المضبوط أو من حيث استطالاته الخارجية (بن زينب، ش، 2020، 55). يظهر الأمر جليا في تأثر فوكو بالفلسفة القطائعية عند كونغليام كونه كذلك باحثا في تحليل الخطابات العلمية والعوائق التي يمكن أن تتعرض لها العلوم من خلال الحفر والتنقيب في خبايا المسارات العلمية واستفهامات الأفكار وتسلسلها تاريخيا المحورة في استنطاق المسكوت عنه. وطئ فوكو حقلا جديدا من خلال فلسفة كونغليام الذي بدوره انطلق من البيولوجيا والفيزيولوجيا لدراسة العلوم، فتطور العلوم وسيورتها مرتبط ارتباطا وثيقا مفضلاتها وإنقطاعاتها هذا ما ألهم فوكو من خلال دراسة اسبتي كل عنصر وتحديد مقولات كل حقبة.

خاتمة:

يمكننا أن نستخلص مما سبق الإشارة اليه أن فلسفة ميشال فوكو تلونت وتناثرت، تارة مع الفكر الماركسي أخذ منه الصبغة الثورية وتارة أخرى نجده من مؤيدي الفلسفة الارتيايبية ما تحمله من تقويض وتفنيده مسلمات الفلسفة الكلاسيكية. أما مع كانط يمكننا أن نعتبره ملهم فوكو الاول من خلال الطرح « ما الانوار» وهنا ما يبدو واضحا وجليا، أما ما نريد الإشارة اليه هو تأثير فوكو في

الدراسات الانسانية والفلسفية في اوربا وحتى العالم أجمع. وطأ فوكو بمنهجه الأركيولوجي أرضا فلسفية مغايرة فوضع مقياس المعرفة والحقيقة استنادا للراهن والواقع المعاش. كشف عن مواضيع قد قُبرت وهُمّشت كالجنون والجنس حيث ربطها بالمعرفة والسلطة وفضح حلقات ومؤسسات الرقابة والعقاب. وفي الختام يمكننا أن نضع او نطرح توصيات عبارة عن تساؤلات: هل تخلى فوكو عن تلك المحطات الفلسفية الكبرى نظرا لإيمانه بالقطيعه ولا استمرارية؟ هل تجرد الفيلسوف من الذاتية الاوروبية وانفتح على العالم؟ أو أنه وقع في نفس مغالطات سابقيه؟

قائمة المصادر والمراجع

- الأندلسي، محمد. (2006). نيتشه وسياسة الفلسفة، ط1، المغرب: دار توبقال.
- بغفورة، الزواوي. (1999). مفهوم الخطاب في فلسفة فوكو، المجلس الاعلى للثقافة.
- بلعقروز، عبد الرزاق. (2010). نيتشه ومهمة الفلسفة قلب تراتب القيم والتأويل الجمالي للحياة، ط1، الدار العربية للعلوم، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.
- بلكفيف، سمير. (2015)، هابرماسوالارثالكناطي مجلة دراسات انسانية واجتماعية، (3)، قسم فلسفة، جامعة وهران2
- بن زينب، الشريف. (2020). غاستون باشلار وكوجيتو التعلم. مجلة دراسات انسانية واجتماعية (2)، قسم فلسفة، جامعة وهران2.
- الحسناوي، مصطفى. (2003). فوكو والسياسة: منشورات الاختلاف.
- الدواي، عبد الرزاق. (1992). موت الإنسان في الخطاب الفلسفي المعاصر فوكو وآخرون: بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- الرايس، الزواوي. (2004-2005). الفضاء الإبيستيمولوجي للعلوم الإنسانية لدى فوكو: السلطة المقاومة والحقيقة. (مذكرة ماجستير) إشراف: أ.د مولفي محمد، مشرف مساعد: ابن عمار سواريت، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران2، وهران.
- زروخي، دراجي. (2019). موقف جاكين روز من اخلاق القوة عند نيتشه. مجلة دراسات انسانية واجتماعية، (10)، قسم فلسفة، جامعة وهران2.
- ستروك، جون. (1990). البنيوية وما بعدها، تر محمد عصفور، الكويت: مؤسسة السلسلة.
- ضيف الله، فوزية. (2019). قراءة في ماهية ارادة الاقتدار عند نيتشه. مجلة دراسات انسانية طربيق، أحمد. (2015). فرويد والفلسفة والعلوم الإنسانية، الحوار المتمدن، (4756).
- العروي، عبد الله. (ب.د.ت). مفهوم التاريخ، ط1، الدار البيضاء: المغرب المركز الثقافي العربي. واجتماعية، (5)، قسم فلسفة، جامعة وهران2.
- فرويد، سيغموند. (1992). مسائل في مزاولة التحليل النفسي، تر: جورج طرابيشي. بيروت، لبنان: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- فرويد، سيغموند. (ب.د.ت). الكبت تحليل نفسي، تر: علي السيد حضارة، القاهرة، مصر: المكتبة الشعبية.
- فوكو، ميشال. (1990). الكلمات والأشياء، ترمطاع صفدي وآخرون. بيروت، لبنان: مركز الإنماء العربي.

فوكو، ميشال.(1990). المر اقية والعقاب، ولادة السجن، تر: مطاع صفدي، بيروت، لبنان: مركز الانماء العربي.

فوكو، ميشال.(1998). ما الأنوار، تر: حميد طاس، مجله فكر ونقد، (5)
فوكو، ميشال.(2008). جينالوجيا المعرفة نيتشه، فرويد، ماركس، تر: أحمد السطاتي وعبد

السلام بنعبد العالي، ط2، الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.

فوكو، ميشال.(2012). نظام الخطاب. تر محمد سبيلا، ط3، بيروت، لبنان: التنوير للطباعة والنشر.
فوكو، ميشال.(2015). ما الأنوار، مجلة الجابري، (5).

نيتشه، فريدريك.(ب.د.ت). هذا هو الإنسان، تر: على مصباح، المغرب: منشورات الجمل.
ولد أباه، سيد.(1994). التاريخ والحقيقة، ط1، بيروت، لبنان: دار المنتخب العربي.
وهبه، مراد.(1974). المذهب عند كانط، القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

Faucault ,M,I. (1994).Nietzsche, freud, Marx.dit et écrit. tome I,Paris : NRF Gallimard.

Faucault ,M,I.(1975), entretien sur la prison, le livre et sa méthode, Magazine littéraire, N° 101.